رأي القدس

الحنين لقنوات التفاوض السرية

■ يصعب علينا ان نفهم سر غرام السيد محمود عباس رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية بالمفاوضات السرية، واصراره على انها الوسيلة الوحيدة الأكثر نجاحاً في الوصول الى تسوية مع الاسرائيليين رغم خيبة الأمل الكبرى التي تمخضت عنها مفاوضات أوسلو التي أشرف عليها، وأوصلت الشعب الفلسطيني الى حال الهوان التي يعيشها حالياً.

السيد عباس كشف امس في حديث لصحيفة «هآرتس» الاسرائيلية انه اقترح على نظرائه الاسرائيليين اجراء محادثات سرية، وانه يعتقد في امكانية التوصل الى اتفاق سلام في غضون عام.

ولا نعرف لماذا يريد السيد عباس قنوات سرية خلفية للحوار، وهو الذي على اتصال مباشر مع الاسرائيليين، ولا يتحرك خطوة واحدة دون أخذ اذنهم. المفاوضات السرية كانت مفهومة في الماضي، وقبل اتفاقات اوسلو وعودة السيد عباس وقيادة المنظمة الى غزة ورام الله، لأن الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي كانا في حال عداء، ولا يعترف اي منهما بالآخر، اما الآن فلا حاجة الى السرية على الاطلاق.

ومن المفارقة ان رفض هذا العرض من قبل رئيس السلطة جاء من قبل الاسرائيليين وبطريقة مهينة للغاية، حيث وصف ايهود اولمرت رئيس الوزراء الاسرائيلي بالوكالة وزعيم حزب «كاديما» المرجح فوزه في انتخابات الاسبوع المقبل، وصف السيد عباس بانه «زعيم فاشل» ولا فائدة من اجراء اي مفاوضات معه بعد فوز حركة «حماس» في الانتخابات الفلسطينية الاخيرة. بينما قال مارك ريجيف المتحدث باسم وزارة الخارجية الاسرائيلية «ان القوة السياسية الحقيقية في السلطة الفلسطينية لم تعد بأيدي السيد عباس وزملائه لانها انتقلت الى حماس».

السيد عباس ارتكب خطأ كبيرا بتقديمه هذا العرض للاسرائيليين، لانه يعرف جيدا انهم شطبوه كشريك في اي مفاوضات لعدم اقدامه على نزع سلاح حركة «حماس» مثلما طالبوه دوما، ولان القوة الشرعية الحقيقية في الساحة الفلسطينية هي «حماس»، وحتى لو اجرى هذه المفاوضات السرية، ونجح في بلورة اتفاق سلام على غرار اتفاقات اوسلو، فان هذا الاتفاق لن يكون مقبولا لا من حماس ولا من الشعب الفلسطيني الذي انتخبها.

الشخص الوحيد الذي يمكن ان يوقع اتفاقا مع الاسرائيليين ويستطيع تسويقه للشعب الفلسطيني هو المرحوم ياسر عرفات لما كان يتمتع به من شعبية ورصيد وطني يخوله لهذه المهمة. وحتى هذه المهمة، اي توقيع اتفاق سلام، باتت غير ممكنة في سنواته الاخيرة، بسبب تآكل رصيده، وفشل اتفاقات اوسلو في ايصال الشعب الفلسطيني الى الدولة المستقلة بسبب استمرار عمليات الاستيطان، واعادة احتلال الضفة الغربية ومعظم قطاع غزة.

السيد عباس لا يريد ان يقرأ المتغيرات على الساحة الفلسطينية قراءة صحيحة، وما زال يعتقد انه يعيش في تونس، وليس في رام الله، حيث تتواجد الدبابات الاسرائيلية على بعد بضعة امتار من مقره.

الانتخابات الفلسطينية الاخيرة ونتائجها احدثت زلزالا في الحياة السياسية الفلسطينية، ومسحت كل ما قبلها من ممارسات، واجتهادات سياسية، وحركة «حماس» لم تفز فيها بسبب برنامجها السياسي الذي هو نقيض لاوسلو والمفاوضات السرية والاعتراف بالدولة العبرية، وانما لأن السلطة ورجالاتها لم يتعاملوا مع الطرف الاسرائيلي من موقع الند، ولم يتمسكوا بتراث «فتح» الحقيقي الذي جعلها القوة السياسية والعسكرية الاكبر على الساحة الفلسطينية.

نتمنى ان يؤدي هذا الرد الاسرائيلي المهين على السيد عباس الى اسدال الستار نهائياً مع كل طروحات القنوات الخلفية، والمفاوضات السرية، وفتح اعين السلطة ورئيسها على الواقع الفلسطيني على الارض، وهو واقع يتناقض كليا مع المرحلة التي كان فيها التفاوض السري ممكنا وجائزا.

زمان الرعب

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

في وقت سابق من هذا الاسبوع كان علي أن أحضر لقاء نظمته رويترز بالتعاون مع مركز السياسة الخارجية مع رئيس الوزراء البريطاني توني بلير يتحدث فيه عن سياسة حكومته الخارجية حول مكافحة الارهاب والعراق. وكانت علامة غير مشجعة حين أبلغنا في رسالة الدعوة ان مكان انعقاد الاجتماع لن يبلغ لنا الا قبل 24 ساعة من موعد اللقاء. وكان الانطباع هو كأننا كنا ذاهبين الى اجتماع سري او لقاء مع المافيا.

(2)

عندما وصلنا الى مكان الاجتماع كان من السهل الاستدلال عليه بكثافة رجال الشرطة المسلحين، المنتشرين في كل مكان، ولكن عددهم كان يتزايد، واسلحتهم تظهر كلما اقتربنا من مدخل مقر الاجتماع. ويمكنك بعد ذلك ان تتخيل التفتيش والتدقيق في الهوية الى درجة اننا كدنا نمنع من الدخول لأننا لم نكن نحمل جوازات سفر!

(3)

بعد الاجتماع كان علي الذهاب الى مجلس العموم البريطاني لحضور لقاء ينظمه مركزنا حول الانتخابات الفلسطينية، وكان علي مرة اخرى ان اعبر دشم الاسمنت القبيحة التي اصبحت تحجب المدخل، ثم غرفة التفتيش، وبعد ان خرجت من الغرفة كان هناك شرطي يحمل مدفعاً رشاشا موجهاً مباشرة الى صدري، بحيث انه لو تحرك حركة مفاجئة لا ارادية ربما أمطرنا بالرصاص وألحقنا بالبرازيلي جان دي ميندس الذي قتلته الشرطة بزعم انه ارهابي.

(4)

تحسرت على الأيام الخوالي وأول زيارة لي للبرلمان حين لم يكن هناك تفتيش ولا حراسة ولا سؤال عن الهوية. الشرطي الوحيد الذي رأيته كان داخل قاعة البرلمان نفسها، ولم يكن يحمل السلاح. وأذكر انني دخلت معه في حوار حول السماح لي بالجلوس على مقعد رئيس الوزراء، فرفض قائلا: انه كرسي مثل أي كرسي آخر.

(5)

قيل زمان الرعب الحالي هذا كان يمكن لأي شاء ان يزور البرلمان بلا حرس ولا تفتيش، وكان يمكن لأي مجموعة ان تتظاهر امام مكتب وسكن رئيس الوزراء في رقم 10 داوننغ ستريت، هذه الأيام اصبح التظاهر امام مقر حاكم عربي ايسر بكثير من ذلك.

(6)

لم يكن هذا لأن بريطانيا لم تكن قد خبرت العنف الارهابي، وما زلت اذكر جيدا اليوم الذي تعرض فيه مكتب رئيس الوزراء (جون ميجور آنذاك) للقصف بقذائف المورتر اثناء اجتماع الحكومة، وذلك لسبب بسيط، هو ان مكتبي في السفارة السودانية اهتز كما لو أصابه زلزال. وقبل ذلك بعام (1991) هز «زلزال» آخر منزلي في شمال لندن بعد تفجير قنبلة ضخمة في مجمع تجاري قريب.

(7)

المسؤول في الحالين كان الجيش الجمهوري الايرلندي الذي ظل يقود حرباً ضد الحكومة البريطانية لأكثر من ربع قرن ـ ولكن هذه الحملة لم تؤد الى خلق حالة الرعب التي تشهدها حاليا، حتى بعد ان قرر الجيش الجمهوري نقل حملته الى انكلترا وقلب لندن.

(8)

هناك تصريح لأسامة بن لادن يقول فيه ان الحكومات الغربية تساعد حملته الارهابية بخلق مناخ للرعب والتخويف يكون له وقع أكبر بكثير من هجمات القاعدة. ويبدو انه على حق في هذا، وخاصة في حق الحكومة البريطانية ورئيسها بلير الذي ظل يبشر بالارهاب حتى اصبح حقيقة.

(9)

هناك علاقة طردية بين الأمن والعدل تجلت في المقولة المشهورة للزائر الفارسي الذي وجد عمر بن الخطاب نائماً في العراء بلا حراسة فقال متعجباً: عدلت فنمت يا عمر. وبالمقابل نجد الحكام الظلمة أشد الناس رعباً، بل انهم يعيشون في حالة من الرعب أشد من ضحاياهم. ولهذا يكثفون الحراسة والاجراءات الأمنية.

(10)

العدل بالطبع لا يمنع عدوان المجرمين ـ فقد قتل عمر بن الخطاب ظلماً وكذلك عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب ـ ولكن المجتمعات السلمية لا تتخذ مثل هذه الأمور ذريعة للتحول الى دولة بوليسية، السويد مثلا التي قتل رئيس وزرائها الأسبق وهو عائد من السينما بدون حراسة، ووزيرة خارجيتها التي كانت تتسوق بمفردها، رفضت ان تغير طبيعة مجتمعها المفتوح، وبالمثل فان تشديد الحراسة لا يعطي الأمان كما تشهد بذلك كثرة محاولات الاغتيال التي يتعرض لها الحكام العرب. ولكن اشاعة الطمأنينة والانفتاح افضل للمجتمعات مهما كانت التكلفة. وليتنا نستعيد انفتاح وطمأنينة المجتمع البريطاني قريباً.

ليس ردا على د. عبد الوهاب الأفندي.. إنما وقفة مع النفس

دمار النوبة مهمة من مهام منظومة الدمار الشامل لكل مصر!!

■ الكاتب المتميز د. عبد الوهاب الأفندي عهدناه مدققا وعميقا فيما يكتب ويطرح، هذا بجانب صفات أخرى عديدة فيه.. تتعلق بانفتاحه ومرونته في تناول قضايا ومسائل شائكة وحساسة. وأرى أن مقاله المنشور في «القدس العربي» يوم الثلاثاء الماضي غلبت عليه السرعة في موضوع يحتاج التأني والتمحيص، فعنوان المقال «عن كارثة تدمير الوطن النوبي: دروس وتأملات» أعطى الانطباع وكأن «الوطن» النوبي شيء منفصل عن «الوطن» المصري الجامع. وقد يكون السبب هو محاولته إنصاف الأديب المصري، وهو من عرفه الأفندي بـ«النوبي الأصل»، حجاج حسن أدول، في وجه حملة يتعرض لها من قبل مثقفين وسياسيين وطنيين، لمشاركته في مؤتمر «طائفي» عقده عدد من أقباط المهجر في واشنطن مؤخرا، وانتقاد «أدول» لم يكن بسبب نوبيته ولم يُنتقد غيره، في السابق، لصعيديته أو منوفيته.. نال ما نال علي سالم وسعد الدين إبراهيم وغيرهما. لأسباب يعرفها القاصي والداني. ونحن جميعا، وليس الأفندي وحده، نقع في أخطاء عند تناولنا لمكوناتنا الوطنية والثقافية والقبلية، ونبدو مختلفين عن غيرنا من الشعوب والأمم. ولأضرب على ذلك مثلا بالمكونات الوطنية البريطانية، الموزعة على أربع جماعات قومية: الإنكليز والاسكتلنديين والإيرلنديين والويلزيين، لا تجد في الثقافة البريطانية وصفا لأي من هذه المكونات الأربعة بالأقلية. ووصف الأقليات يقتصر على ذوي الأصول الأسيوية أو الإفريقية أو الأفروكاريبية وهكذا. ومنذ انغماس كثير من مثقفينا فيما أسميه «ثقافة الفتنة»، بوعي أو بدونه، نجد أن منهم من ينظر إلى المكونات الثقافية والقبلية والمذهبية في الوطن العربي، باعتبارها أقليات بغض النظر عن تجذرها وتاريخها، ومدى استقرارها واندماجها في المجتمع.

والمثل العراقي يسعفنا في تأكيد ما نصبو إليه، فبدخول قوات الاحتلال سادت هذه الثقافة بين القادة والمسؤولين، وأصبحت أيديولوجية من وفدوا مع الاحتلال.. نظروا لمكونات الشعب العراقي كأقليات، فنجد أن الكتلة الرئيسية للمكون الوطني العراقي من العرب انشطرت إلى أقليتين رئيسيتين: سنة في الوسط والشمال، وشيعة في الجنوب، مع أقليات أشورية وصابئة في بغداد والجنوب والشمال. ولو أن الأمر اقتصر على الأكراد والتركمان لكان مقبولا.. أقول هذا لأؤكد أن «الوطن» المصري، بمكوناته الأساسية منذ توحيد الملك مينا للوجهين، القبلي والبحري، لا يعرف الأقليات، وتظهر النعرات المناطقية والقبلية والمذهبية وتسود كلما ظهر النفوذ الغربي وانتشر، وبتأثير ليبراليته (التقليدية والجديدة)، وتفضيلها التعامل مع مكونات المجتمع العربي على أساس الفسيفساء، التي لا انسجام بينها ولا ترابط، بل تنافر في الألوان، وتناقض في المقاصد، وتصادم في الأهداف.

وبالنسبة لمنطقة النوبة، في أقصى جنوب مصر، ولدي بعض الخبرة بشؤونها، من عملي بالقرب منها وفي قلبها، في بداية حياتي العملية بعد تخرجي من الجامعة، حيث تنقلت ما بين أسوان وكوم امبو ودراو، في الفترة ما بين 1963 و1965، وهي الفترة التي يشير فيها الأفندي إلى الظلم الذي وقع على سكان هذه المنطقة، ويرى أنهم لم يحتجوا على ما حدث لهم لأنهم «انطلقوا من حس وطني قبل بالتضحية من أجل المصلحة الوطنية العليا» وهذا توصيف صحيح، لكن الصحيح أيضا أن غياب الاحتجاج كان بسبب شيوع نوع من الرضا العام في ذلك الزمان.. فقد كان زمن الأحلام الكبيرة، والإنجازات العملاقة، والعزائم القوية. ومنها السد العالي، الذي ضحى النوبيون من أجله.

عشت في هذه المنطقة التي أطلق عليها الأفندي «وادي جهنم»، وجهنم، ذلك الوقت، لم تكن قاصرة على هذا الوادي، كانت تشمل أسوان نفسها، ومواقع العمل في السد العالي، قبل ظهور بحيرة ناصر العملاقة، وما أحدثت من تغييرات مناخية خففت، فيما بعد، من وطأة هذه «الجهنم».. وكانت مرتعا للثعابين والحيات والعقارب. وأذكر أن اليوم الأول لنا في «دراو» أصابنا الرعب، بعد أن لدغ عقرب زميلي في العمل والسكن، وكان من محافظة الشرقية، وأصبح أديبا مرموقا، فارتفاع الحرارة، غير الطبيعي، دفع عقرب للبحث عن مكان أقل سخونة يحتمي به، ولم يجد إلا حذاء الزميل، وفور أن أدخل المسكين قدمه فيه كانت اللدغة التي استدعت الاستعانة بخبراء في الوصفات الطبية الشعبية، وتم إنقاذه وشفي تماما. وأذكر أثناء إقامتي في أسوان، وقبل نقلي إلى كوم امبو، كنا نبلل مراتب الأسرّة التي ننام عليها للتخفيف من وطأة الحر، وأزعم أنه كان أشد وطأة من هجير مكة مما قرأنا عنه في كتب السيرة.

محمد عبدالحكم دياب *

والسؤال هو لماذا تحملنا وتحمل الناس كل هذا العناء دون شكوى؟، وعند مراجعة النفس نجد أن كلا منا كان مندمجا ومجسدا لمتطلبات النهضة العامة، ولم يكن زملاؤنا النوبيون استثناء.. فمن انتقل إلى مناطق التهجير كان موقنا أنها ضريبة واجبة. وأن المناطق التي انتقل إليها كانت جزءا من البيئة العامة، وأختيرت نتيجة دراسات عن المناطق الأكثر ملاءمة لنقل القرى، فالسلطات حرصت، في ذلك الوقت، على تلبية مطالب النوبيين في نقل القرى كاملة، أي نقل المجتمع بما فيه من بشر وحيوان وجماد. وحملت القرى نفس أسمائها في الموطن الأصلي، وقامت منازلها على نفس التصميم، حفاظا واستمرارا لتماسك ووحدة المجتمع النوبي، وهذا يحسب للمسؤولين وليس عليهم. لم يكن الإخوة النوبيون منفصلين عن الحراك النهضوي.. المجتمع بأسره والوطن بمكوناته يتغير، من أقصاه إلى أقصاه. الوطن كان ورشة كبيرة كل من فيها يعمل ويكدح ويضحي. ومثلهم مثل كثيرين انتقلوا إلى مواقع العمل الجديدة، المحيطة بهم أولا، في قرى ومستعمرات السد.. في قرى «السيل» و«الشيخ هارون» وغيرهما، أو في المستعمرات الأخرى. وكانت مستعمرة شركة «كيما»، نموذجا بهرني، عندما دخلته لأول مرة.. لرقيه ومستواه ونظافته وتنظيمه.. شوارع فسيحة، وحدائق واسعة، وسكن راق مكيف للعاملين، بكافة درجاتهم، من العامل حتى كبار الخبراء والمهندسين والإداريين، اندمج النوبيون في هذا الحراك، كباقي أبناء المناطق الأخرى والوافدين من باقي محافظات مصر.. حياة كانت واعدة، وصارت أثرا بعد عين، دخلها جراد بشري، «سرق الكحل من العيون» كما يقول المثل الدارج. المصريون، بكل مكوناتهم، عاشوا واقعا جعلهم يقبلون بالتضحية، فالبلد عادت ملكا لهم، والمستقبل كان واعدا أمامهم.

لم تكن مشاكل المصريين قبلية ولا مذهبية ولا مناطقية، وما زالت ترن في أذني وتلمع في عيني الأنغام والأغاني والرقصات النوبية، واظبت على حضورها، اسبوعيا، على مسرح مركز الثقافة الجماهيرية بأسوان. و«وادي جهنم»، كان يراد له أن يصبح فردوسا، في عصر اقتحام الصحراء، وتهذيب قسوتها وشدتها، وخلق مجتمعات جديدة عليها، في مديرية التحرير والوادي الجديد، وجاء الدور على وادي كوم امبو ومناطق النوبة الجديدة. وإذا ما تصحرت النفوس والأفكار، وتحجرت المشاعر والأحاسيس، يعم السعار، ويتوقف العمل من أجل الناس. وتتعطل ساعة التقدم وتعود إلى الوراء، ولا يستثني من هذا إلا «مستوطنات» اللصوص وأثرياء الخصخصة والانفتاح ومتعهدو الخراب النفسي والروحي والمادي، وتجار الموت، في شرم الشيخ ومارينا وقلاع وقصور المترفين، هذه فقط هي محل الاهتمام. أما الملايين التي تعيش في المقابر والـ45 % من سكان المدن الذين يعيشون في العشوائيات، يتركون للبطالة والضنك والمرض والموت.

وسأحكي كواحد، كما يقولون بحراوي.. عائلتي وأصولي من محافظة البحيرة، فإن ما حل بهذه المحافظة قد لا يصدق.. كانت أول محافظة وقع عليها اختيار الثورة لاقتحام الصحراء، حيث مساحتها الصحراوية أكبر من مساحتها المزروعة، وفي جنوبها الغربي بدأ مشروع «مديرية التحرير».. بقراه النموذجية. اخضرت صحراء البحيرة وأثمرت «مديرية التحرير»، وعلى الفور منحها أنور السادات لأبناء محافظته، وبدلا من تحويلها إلى محافظة جديدة، تخفف من وطأة الزيادة المطردة للسكان في محافظات وسط الدلتا المزدحمة، سن السادات سنة شريرة.. مكنت محافظة مصرية من غزو محافظة أخرى بقرار منه، ودق بذلك إسفينا، وخلق حساسية بين أبناء المحافظتين. وكان من المفترض أن يأتي حسني مبارك مصححا إلا أنه زاد من تعقيد الوضع، وأطلق «الجراد» البشري حتى انتهى به الأمر إلى تسليم هذا المنطقة بالكامل لأحمد عز.. شريك «الرئيس الموازي»، جمال مبارك، في المال والأعمال والسياسة.

هكذا تدار مصر، بعد أن تحولت إلى إقطاعية خاصة، وما تم تجاه هذا الجزء «المغتصب» من محافظة البحيرة يكشف إلى أي مدى وصلت «ثقافة الفتنة».. وعندما اعتصم أهل قرية «البريجات»، مسقط رأسي، وأضربوا عن الطعام رفضا لهذا التصرف الجاهلي، وضعتهم السلطات تحت طائلة العقاب الجماعي.. انحسرت عنهم الخدمات وفرض عليهم الحصار من الجهات الأربع. وبقيت وحدها تابعة لمحافظة البحيرة وسط حصار منوفي كامل!!.. هل هذا يعطيني أو يمنح غيري حق التحدث عن كارثة تدمير «الوطن البحراوي» مثلا؟.. والسبب بسيط هو أن الأغلبية الكاسحة من المصريين يعتبرون الدمار العام موجه للجميع، بما فيهم أهل المنوفية، الذين أساء لهم تصرف السادات كثيرا، فليس فيهم من استهجن هذا التصرف المعيب. وأضافت عائلة مبارك ومواليه، ما هو أكثر من الإساءة.. بسبب ما تخصصوا فيه.. من خطف اللقمة من أفواه أصحابها، واغتصب الأرض من يد زارعيها، وسرقة الأحلام من رأس مبدعيها. وساووا بظلمهم بين الجميع، بحارة وصعايدة ونوبيين.. مسلمين وأقباطا، فقلما نجا أحد من فسادهم وبطشهم، والمهمة الكبرى، المطلوبة من الجميع، هي استعادة مصر، المختطفة، من يد هؤلاء.

والمثل الذي ضربه الكاتب بأهل منطقة قناة السويس الذين أعيدوا بعد تهجيرهم. أرجوه أن يتابع أخبارهم، ويطلع على معاناتهم، باستثناء مدينة الاسماعيلية، أحد منتجعات السادات، وصفيه عثمان أحمد عثمان، المفضلة.. مصانع السويس صفيت وأهلها يئنون من وطأة البطالة والفقر، وسكان بور سعيد تحت حصار ظالم، منذ سنوات، فالمدينة، التي عرفت بستالينغراد العرب، لاستبسالها في مقاومة العدوان الثلاثي، سنة 1956، تتعرض لعقاب جماعي غاشم، لأن واحدا من أهلها، وصفته أجهزة الأمن، في وقتها، بأنه مختل عقليا، اعتدى على حسني مبارك، وكان العقاب هو إلغاء المنطقة الحرة، وتجفيف منابع وموارد العمل والرزق، صورة بربرية لا تنافسها إلا الصورة الأمريكية في غوانتانامو وأبو غريب، وهي صورة لم تعشها مصر منذ أيام المماليك. ومعنى هذا أن الكارثة ليست تدمير «الوطن النوبي».. بل هي تدمير مصر. وإذا لم نر الأمور بهذا الشكل، فعلينا جميعا السلام..

* كاتب من مصر يقيم في لندن

قراءة في تحولات حاكم صغير

■ من نعم الاحتلال علينا، التي لا يمكن انكارها، ادخال عاملي التسريع الزمني والكفاءة لانجاز افعال كنا قد عشنا في ظل بعضها تحت النظام السابق. ولا اعني بذلك تحسين خدمات الماء والكهرباء والدواء وتصريف المجاري والبناء وتبليط الطرق وتأهيل المدارس بل الاغتيالات والقتل المنظم وقصف المدن والاعتقالات واستخدام الاسلحة المحرمة دوليا وانعدام الامان وتحويل كل مكان مهجور في عاصمتنا خاصة الى ساحة لرمي الجثث بعد تعذيب الضحايا.

بعض هذه الافعال والجرائم، كما نعلم جميعا، كان متوفرا برعاية النظام السابق، ذاقها ابناء الشعب جميعا، وفي حقبات زمنية مختلفة امتدت على مدى عقود حكمه . ثم جاء الاحتلال أو ما يسمى بالتحرير. ليجلب معه كفاءات وتقنيات مطعمة بمساعدة وخبرة العراقيين المستخدمين من قبله. فأخذت الادارة الجديدة على عاتقها منافسة النظام السابق في افعاله وجرائمه حتى بات المواطن العراقي مذهولا لهول ما يتعرض له يوميا وعاجزا عن استيعاب معنى الديمقراطية التي تبذل له لفظيا بالاطنان، واختلافها عن الدكتاتورية والنظام القمعي. وبدأت منذ اليوم الاول للاحتلال مسابقة ماراثونية تميزت بعاملي السرعة وروح المنافسة في انتاج الملامح الجديدة للاحتلال، مسابقة تشبه تقديم وجبات الاكل السريعة والمربحة في مطاعم ماكونالدز.

يتميز السباق في العراق المحتل بانه يتم في ثلاثة مجالات رئيسية. اولا سباق القتل. حيث تبنى حكم الاحتلال قتل اكبر عدد من الناس وبمختلف الطرق من اجل ترويعهم وارهابهم وبالتالي تسهيل السيطرة عليهم. وعند المحاججة بلاعدالة ما يجري، يأتيك الجواب سريعا: ألم يقم النظام السابق بإرهاب الناس وترويعهم؟ لذلك، صار طبيعيا، ان يتسابق علاوي بعد تعيينه رئيسا مؤقتا للوزراء مع الجعفري الذي تولى المنصب من بعده مع قوات الاحتلال نفسها، لتكون الحصيلة قصف وحصار وتهديم النجف والفلوجة وسامراء وحديثة والقائم وتلعفر وبغداد.

المجال الثاني للسباق تم في ظل قصف المدن و تهديم المساجد وقتل الابرياء، حيث كانت عملية نهب اموال الشعب العامة تجري بكفاءة وسرعة لامثيل لها. مليارات الدولارات اختفت أما نقدا أو بشكل عقود وخدمات وهمية فضلا عن ضخ النفط العراقي بلا مقياس ليحرموا الناس من شريان الحياة الاقتصادية ومصدر عيشهم.

المجال الثالث للسباق هو تقديم عدد من الشخصيات وطرحها في سوق المزايدة السياسية لاستشفاف من هو الاصلح بين المعروض ليمثل سياسة الاحتلال من جهة وينثر النكهة المحلية من جهة ثانية. ولعل قراءة شخصية القوي الامين للدكتور الجعفري، ومن خلال خطبه وتصريحاته، ستساعدنا على فهم طبيعة التحولات التي يمر بها المرشح ليتلائم مع طبيعة العمل المعروض، وتزداد التغيرات والتحولات عمقا حالما يستلم السلطة. فيصبح للحاكم الجديد مصطلحاته ومفرداته التي يحاول فرضها لفظا او تطبيقا على الناس. وهل نستطيع ان ننسى مفردات النظام السابق التي كانت تزخ علينا كالمطر، من بينها: العلوج، القائد الضرورة، حفظه الله، القائد المجاهد، رعاه الله، غربان الشر، واثق من حبه لشعبه، وبيعة القائد. أما مفردات الحكم الجديد، فمن بينها: رجل المرحلة. قدس سره، النزاهة، المصداقية، لجان التحقيق المستقلة، حفظ ظله، الارهاب، الزرقاوي واذا صح التعبير.

هيفاء زنكنة *

وقد انتبهت اثناء تجميعي لبعض المفردات والمصطلحات الدالة على تحولات النمط الفكري لحكام العراق، في العهدين الماضي والحالي، بانهم ومهما كان اتجاههم السياسي وخلفيتهم الثقافية، ما ان يصلوا مرحلة معينة من تسلق درج الحكم حتى يتصرفون وكأنهم بلغوا مرحلة القوة المطلقة المنعكسة، سلوكيا، في التصريحات الدالة على المعرفة الكلية. فينسون وجود الاختصاص الوظيفي والمعرفي وخبرات الاخرين، ليصبحوا بين ليلة وضحاها ملمين وعارفين بكل الشؤون من علمية وثقافية وفنية الى التقنية وعلى اختلاف مستوياتها. هنا، ساقدم نماذج من تصريحات بعض الحكام . ولن اكشف عن الاسماء بل اترك لمتابعي الشأن العراقي التعرف على هوية المتحدث في كل حالة.

قال الحاكم مخاطبا نخبة من فناني المسرح والسينما: «ان الفنان لا يستوحي إمكاناته الفنية من أكاديمية بل يستوحي ذلك من معاناته حيث تتحرك فيه مكامن القوة الإنسانية، لذا فأن على الفنانين ان يكرسوا قدراتهم وكفاءاتهم وملكاتهم لحماية البلد والذود عنه، ونحن لا نريد للفنان ان يتسيس ولا للمسرحي ان يتمذهب، بل نريد ان ينطلق الفنان ويشعر من خلال واقع المعاناة اليومية للعراقيين... أننا لسنا مع المدرسة التي تقول ان الفن للفن وانما مع المبدأ الذي يؤكد ان الفن للحياة ولكل شيء فيها، وعليكم ان تنطلقوا من وحي حركتكم ومعاناتكم داخل الساحة الشعبية العراقية، لذا أتعشم في جيلكم الذي يمتلك ذخيرة غنية وكبيرة بأن يتفاعل مع الواقع ... انّ على الفنان ان يمثل دور الرافض الواعي، الرافض للارهاب ولكل الثقافات الدخيلة على قيم شعبنا، وان يتعلم من الشعب وإصراره على مواصلة الطريق رغم المعاناة، عليكم ان تتحركوا كجزء من حركة الشعب، أبدعوا في عصر المعاناة وساهموا في تجاوزها، لأن أعداء العراق يريدون للواقع العراقي ان يعيش حالة التمزق... إنني لا أستطيع ان أتصور ان فناناً يضع وسادته وينام وجاره قد فقد أطفاله او أطفال جاره قد فقدوا والدهم، لأن لا قيمة للفن اذا لم ينطلق من الإنسان ويستهدف الإنسان ويخدم الإنسان وقضيته، على الفنان ان يحول الحياة الى مدرسة يأخذ منها ويسري فيها».

قال الحاكم مخاطبا رؤساء وأعضاء مجالس المحافظات: «ان حاجة المحافظات الى الأعمار حاجة موضوعية وواقعية لأن هناك خصوصيات ومشتركات للمحافظات في ما بينها... ووجوب ان يكون عمل المجالس واحداً مع تبادل الخبرات والتعاطي مع الوزارات ومؤسسات الدولة واطلاع المواطن علي كل الحقائق... أن مجلس المحافظة هو إفراز طبيعي من رحم شعب المحافظة وهو الوجه المعبر عن وجهة هذا الشعب، ولأن العراق يعيش هذه التجربة لأول مرة فمن واجبنا ان نحافظ عليها، برغم ان التركة التي ننوء بها ثقيلة لكن أمامكم مهمات كبيرة جداً وبإرادتكم سيتحقق الشيء الكثير لأننا نريد عراق الكفاءة لا عراق الشخص... وعليكم ان تفكروا بعمر العراق كله لا بعمر المحافظة او مجلسها».

قال الحاكم في تصريح صحافي: «اننا لن نسمح لأحد بان يمرر ما يريده عبر الضغوط او التدخل المباشر لأننا لا نتحرك بردود فعل وانما العراق يصنع قراره بنفسه بقرار عراقي وبآلية عراقية وبرؤية عراقية دون تدخل اية دولة. وانه لا مجال في حياتي للتنازل للاخرين، ولم اكن يوما من الأيام مشتريا للموقع».

وقال الحاكم مخاطبا عدد من العاملين في المجالات العلمية: «ان الزمن الاضافي لايمكن خلقه الا اذا تحكمنا بنوع الخطوة في الزمن. .. ان العلاقة بين الايمان الروحي والمعاني الاعتبارية وبين العلم وخطواته العملية ما لم تضبط على محاورها الصحيحة وتضبط موازنتها لايمكن ان يحقق اهدافها فلا العلم منفصل عن المعاني الاعتبارية والروحية التي يمتلكها صاحب العلم ولاصاحب الاعتبارات الروحية قادر على تحقيق اهدافه مالم تكن مستندة على حقائق وحسابات علمية. اذا يجب ان نحرص دائما على ان يمتلك اصحاب العلم او ان يتمتعوا بروح عالية بحب الوطن والشعب والايمان العميق والدائم بالاهداف الكبيرة والا فان العلم يتحول بعد حين الى محض وسيلة للتقنية التي يمكن ان تكون بيد اناس لا يحققون الاهداف الكبيرة للشعب ولذلك احرصوا دائما على تحقيق هذه الموازنة».

قال الحاكم مخاطبا جهاز الاعلام: «الرأي العام بالنسبة لي شيء مهم جدا لانه المادة التي استفيد منها، وان لم اكن التقي رؤساء تحرير الصحف الا ان لدي نصيبا في الرأي العام، اذ اقرأ بما يتاح لي من وقت مختلف وسائل الاعلام، لكن لا ابحث فيها عن كلمات مدح بقدر ما ابحث عن الكلمة وابحث عن الاعلامي الذي يستطيع ان يصل الى العمق ويستخرج منه الحقائق كما هي التي قد تستعصي على كثير من السياسيين ممن يهمهم الأمر، كما ابحث عن الاعلامي الذي ينقلني الى عمق الاحداث ليجعلني في حالة تعامل مباشر معها، في الوقت الذي لا يهمني فيه رصيدي عند الاعلامي بقدر ما يهمني رصيده عندي على ضوء الوصول الى الحقيقة.

ان لكل منا من موقع اختصاصه اخطاء، وعندما بدأ لم يكن بالتأكيد بداية الصواب وعندما ينتهي سوف لن تكون نهاية الصواب، لأن هناك اخطاء في الماضي وهو لديه اخطاء الان ومن يأتي من بعده ستكون لديه اخطاء، لا مشكلة في هذه الاخطاء انما المهم هو ماذا قدم كل منا في مرحلة التصدي، يجب محاسبة السياسي عما قدمه، وكذلك القضاء، كما يجب محاسبة الاعلام ومقارنته باعلام الدول الاخرى الذي فعل الكثير وتصرف بطريقة تمكن من خلالها من التصدي للحروب واستطاع ان يعالج نتائج حروب، وهناك أدلة كثيرة على ذلك».

تدل هذه التصريحات على مدى شعور الحاكم باهميته المتزايدة وثقته المتناهية بقوته ووصوله او اقترابه من حالة الاستحواذ على السلطة المطلقة، وهي عملية تؤدي في النهاية، كما شاهدنا في ظل النظام السابق، ونشاهد في ظلال النظام الحالي، الى الغاء القانون لأن الحاكم يرى في نفسه مصدرا لكل القوانين وتطبيقاتها. كما تؤدي العملية، وهنا الفجيعة الكبرى، الى الغاء الحاجة الى وجود الاخرين، مما يسهل على الحاكم التخلص من الاخرين في مراحل تالية.

* كاتبة من العراق

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 **Fax:** 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN